التيبيكا البيزنطية (وثائق تنظيمات الأديرة)
مصدرًا لدراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية

محمد زايد عبد الله(*)

قائمة المختصرات المستخدمة في البحث

AJO	***The American Journal of Otology***, University of California, Los Angles, 1979 ff.
AOB	***Archives of Oral Biology***.
BDI	***Byzantine Defenders of Images: Eight Saints' Lives in English Translation***, ed. A. M. Talbot, ***BSLT***, Vol. 2, Washington, D.C., 1998.
BMFD	***Byzantine Monastic Foundation Documents***. *A complete Translation of the Surviving Founders Typika and Testaments*, ed .J. Thomas & A. C. Hero, 5 Vols., Washington, D.C., 2000.
Bsl	***Byzantino – Slavica***, Prague, 1929 ff.
Byz	***Byzantion***, Bruxelles, 1924 ff.
CSHB	***Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae***, Bonn, 1828-1897.
DOC	***Dumbarton Oaks Center***, Washington, D.C.
DOP	***Dumbarton Oaks Papers***, Washington, D.C., 1941ff.
DOS	***Dumbarton Oaks Studies***, Dumbarton Oaks Center, Washington, D.C.
HWB	***Holy Women of Byzantium***, *Ten Saints Lives in English Translation*, ed. A. M. Talbot, ***BSLT***, Vol. 1, Washington, D.C., 1996.
IRAIK	*Izvestiia Russkago Archeologicheskago Instituta v Konstantinople*.

(*) مدرس تاريخ العصور الوسطى – كلية الآداب – جامعة الفيوم .

Isis	Publication of the History of Science Society, Chicago, 1912 ff.
JGero	***Journal of Gerontology***, The Gerontological Society of America, Washington, D.C., 1946 ff.
JO	***Journal of Otolaryngology***, University of California, Los Angles, 1979 ff.
JVS	***Journal of Vascular Surgery***, The Society for Vascular Surgery and The American Association for Vascular Surgery, 1975 ff.
MBM	**Miscellanea Byzantina Monacensia,** Institut für Byzantinistik und neugriechische Philologie der Universität München, Munich.
NPNF	***Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church***, ed. Ph. Schaff & H. Wage, 7 Vols., New York, Oxford & London, 1890 ff.
ODB	***The Oxford Dictionary of Byzantium***, ed. A. P. Kažhdan & als., 3 Vols., Oxford University Press, Oxford - New York – Toronto, 1991.
OSB	***Oxford Studies in Byzantium***, ed. J. Howard-Johnston, Oxford University Press.
PG	***Patrologia Graecae***, Patrologiae cursus completus, series graeca, ed. J. P. Migne, 161 Vols. in 166 pts., Paris, 1857 ff.
RÉB	***Revue des Études Byzantines***, Paris, 1944 ff.
TTH	***Translated Texts for Historians***, Liverpool University Press.
World J. Surg.	***World Journal of Surgery***, International Society of Surgery/ Société Internationale de Chirurgie, New York, 1977 ff.

التيبيكا البيزنطية (وثائق تنظيمات الأديرة)
مصدراً لدراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية

التيبيكا Typikon البيزنطية هي وثائق تُعبر عن القواعد واللوائح المنظمة للأديرة البيزنطية ، وهي ثمينة في أغلب الأحيان ؛ لأنها تحتوي على معلومات قيمة حول موضوعات مختلفة ، كعلاقة الرهبان في الأديرة بالأباطرة والنبلاء الأرستقراطيين ، والمؤسسات الخيرية التابعة للدير ، وملكية الدير للأراضي والحيوانات والمباني ، وأيضا الطقوس الرهبانية ، وطعام الرهبان وشرابهم ، وأنواع الإضاءة المستعملة في ذلك الوقت ، والملابس ، والأحذية ، ومواقيت الصيام ، والاحتفالات بالأعياد(١).

وقد بدأ الاهتمام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية منذ القرن السابع عشر الميلادي ، ولكن العمل سار بطيئاً حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث صدر عدد من الترجمات إلى اللغات الحديثة لبعض الوثائق . وفي القرن العشرين قام عدد من الباحثين الفرنسيين على رأسهم لويس بيتي L. Petit(٢) وبول جوتييه P. Gautier بترجمة عدد من تلك الوثائق إلى اللغة الفرنسية (٣) ، حتى قرر مركز الدمبارتون أوكس Dumbarton Oaks Center – التابع لجامعة هارفارد – القيام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية ، فخرجت طبعة في خمسة مجلدات مُترجمة إلى اللغة الإنجليزية عام ٢٠٠٠م ، تحتوي على ٦١ وثيقة في ٢٠٢١

(1) Talbot, A. M., "Typikon, Monastic", ODB, Vol. 3, p. 2132.
(2) Petit, L., "Le Monastère de Notre-Dame de Pitié en Macédoine", IRAIK, 6 (1900), pp. 1–153; "Typikon du monastère de la Kosmosotira près d'Aenos (1152)", IRAIK, 13 (1908), pp. 17–75.
(3) Gautier, P., "Le typikon du Christ Sauveur Pantocrator", RÉB, 32 (1974), pp. 1–145; "La diataxis de Michel Attaliate", RÉB, 39 (1981), pp. 5–143; "Le typikon de la Théotokos Évergétis", RÉB, 40 (1982), pp. 5–101; "Le typikon du sébaste Grégoire Pakourianos", RÉB, 42 (1984), pp. 5–145; "Le typikon de la Théotokos Kécharitômènè", RÉB, 43 (1985), pp. 5–165.

صفحة، وقد قام بتلك الترجمة أكثر من خمسة عشر متخصصًا في اللغة اليونانية الوسيطة[1].

وقد قمت باختيار هذا الموضوع وهو : " **التيبيكا البيزنطية (وثائق الأديرة) مصدراً لدراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية**" ؛ نظراً لأهمية الموضوع، ولوفرة المعلومات في بعض الجوانب ، وتنوعها في تلك الوثائق ، فعلى الرغم من وجود بعض الدراسات السابقة المعتمدة على وثائق التيبيكا البيزنطية ، فإنها نحت منحى مختلفاً تماماً عما سنسلكه في تلك الدراسة ، حيث اعتمدت في تناولها على النظام البيبليوجرافي ، من خلال التعريف بها ، ومَنْ قام بتحريرها [2] ، وليس بناءً على الموضوعات ، كما أهملت التطرق لبعض المستشفيات البيزنطية المهمة مثل : بانتوكراتور Pantokrator (المهيمن على الجميع) ، وإيفيرجيتيس Evergetis (المحسنة) ، ومشفى دير القديس يوحنا البشير St. John the Forerunner بمنطقة فوبيروس Phoberos على الساحل الآسيوي لمضيق البوسفور ، ومشفى كوزموسوتيرا Kosmosoteira (منقذة العالم) البيزنطي . ويجب توضيح أننا لن نبحث موضوع الطب من كافة جوانبه ، فقد تناوله الكثير من الباحثين السابقين ، ولكننا سنركز على ما قدمته لنا أوراق التيبيكا من معلومات تفيد الباحثين في دراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية على مر تاريخها ، ولذلك سنركز على النقاط التالية:

- أنواع المستشفيات وأقسامها.
- الأطباء والمساعدون والممرضون والوظائف الخدمية الأخرى.

---

(1) Thomas. J. & Hero. A. C. (eds.), Byzantine Monastic Foundation Documents, A complete Translation of the Surviving Founders Typika and Testaments, Vol. 1, Washington, D.C., 2000, pp. 2-13.

(2) Volk, R., Gesundheitswesen und Wohltätigkeit im Spiegel der byzantinischen Klostertypika, MBM, Vol. 28, Institut für Byzantinistik und neugriechische Philologie der Universität München, Munich, 1983; Miller, T. S., "Review: Gesundheitswesen und Wohltätigkeit im Spiegel der byzantinischen Klostertypika by Robert Volk", Isis, Vol. 76, No. 3 (Sep., 1985), p. 434.

- الأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج.
- أدوات الجراحة والأدوية والصيدلة.
- التنظيم المالي للمستشفيات.
- الرعاية الصحية لكبار السن.

أنواع المستشفيات وأقسامها:

زخرت وثائق الأديرة البيزنطية بالكثير من المعلومات عن الطب البيزنطي في الفترة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين ، والتي اشتملت على حوالي سبعاً وعشرين وثيقة ديرية ، تفاوتت المعلومات فيها ما بين قليلة في بعض الأحيان ، وكثيرة مستفيضة في أحيان أخرى. وكانت رعاية الفقراء والمرضى واجباً ورثه البيزنطيون عن المسيحية [1] ، فكان العلاج يتم بشكل كبير من خلال المؤسسات الخيرية الكبيرة التي أُسست على أيدي الأغنياء الذين أمدوها بالهبات الكافية ، وأوقفوا عليها بعض الأوقاف ، أو نظموها تحت سيطرة الأديرة [2] ، وذلك لما تمتعت به الأديرة البيزنطية من ثروات وأوقاف كثيرة [3] ، ولم يألُ هؤلاء جهدًا من أجل وضع عدد من الأسِرّة وموقد للتدفئة في دُور الضيافة لخدمة المرضى والضعفاء ، إذ سُمح للمرضى بالضيافة مدة ثلاثة أيام حتى يستردوا عافيتهم [4] ، خاصة أثناء المجاعات وما يتبعها من الأمراض والأوبئة التي تنتشر بين سكان الريف بصفة

(1) Miller, T. S., The Birth of the Hospital in the Byzantine Empire, The Johns Hopkins University Press, Baltimore and London, 2nd ed., 1997, p. 61.
(2) Constantelos, D. J., Byzantine Philanthropy and Social Welfare, New Brunswick & New Jersey, 1968, p. 3.
(3) Ath. Typikon: Typikon of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery, trans. George Dennis, BMFD, Vol. 1, No. 13, ch. 49, p. 263; Pakourianos: Typikon of Gregory Pakourianos for the Monastery of the Mother of God Petritzonitissa in Bačkovo, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 23, ch. 20, p. 544; Roidion: Typikon of Nikon of the Black Mountain for the Monastery and Hospice of the Mother of God tou Roidiou, trans. R. Allison, BMFD, Vol. 1, No. 21, ch. [B]15, p. 435.
(4) Pakourianos, ch. 29, pp. 549- 550.

خاصة ؛ فتؤدي إلى وقوع كثير من الوفيات [١] . وسار على نفس النهج رجال الدين ، خاصة الأساقفة [٢] . كما أن الحكومة البيزنطية – المتمثلة في الأباطرة – قد أنشأت العديد من المستشفيات لمعالجة المرضى ، خاصة الفقراء منهم [٣] ، كالإمبراطور ميخائيل الرابع البفلاجوني Michael IV the Paphlagonian (١٠٣٤– ١٠٤١م) [٤] ، والإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenos (١٠٨١–١١١٨م)[٥].

وانقسمت المستشفيات في الإمبراطورية البيزنطية من حيث التخصص إلى مستشفيات عامة ، ومستشفيات متخصصة ، وهذه الأخيرة اشتملت على مستشفيات مرضى الجذام ، وأخرى خاصة بالنساء [٦] . وقد انقسمت هذه المستشفيات من حيث الحجم إلى مستشفيات صغيرة ، ومستشفيات عامة كبيرة . فأما النوع الأول فقد تمثل في العديد من المستشفيات الصغيرة المُلحقة بالأديرة ، مثل مشفى دير إيفيرجيتيس بالقسطنطينية ، والذي أُنشيء فيما بين عامي (١٠٥٤– ١٠٧٠م) [٧] ، ومشفى دير القديس يوحنا البشير بمنطقة فوبيروس على الساحل الآسيوي لمضيق البوسفور ،

(1) Georgius Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum, in: Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, ch. 38, pp. 908-909; Theophanes Continuatus, Chronographia, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, Lib. VI, ch. 27, pp. 417- 418; Symeon Magister, Annales, in: Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, ch. 38, pp. 743-744; Skylitzès, J., Empereurs de Constantinople, trad. B. Flusin, Paris, 2003, 10, ch. 22, pp. 189-190.

(2) Theodore Studite, Epistolae, PG, Vol. 99, ed. J. P. Migne, Paris, 1903, II, No. 94, col. 1613; CF. Constantelos, Byzantine Philanthropy, p. 76.

(3) Miller, T. S., "The Byzantine Hospitals", DOP, Vol. 38 (1984), p. 62.

(4) Psellus, M., Chronographia, trans. E. R. Sewter, Yale University Press, New Haven, 1953, 4, chs. 34 -35, p. 73.

(٥) آنا كومنينا ، الألكسياد ، ترجمة/ د. حسن حبشي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ك ١٥ ، ف ٧ ، ص ٦١٥-٦١٦.

(6) Constantelos, Byzantine Philanthropy, p. 152.

(7) Evergetis: Typikon of Timothy for the Monastery of the Mother of God Evergetis, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 22, chs. 38, 41, pp. 495, 497.

والذي أُنشيء عام ١١١٣م [١] ، ومشفى دير بيبايا إلبيس Bebaia Elpis (الأمل المؤكد) في القسطنطينية ، والذي أُنشيء فيما بين عامي (١٣٢٧- ١٣٣٥م) [٢]. كما أمر الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين الراهب كريستودولوس رئيس دير القديس يوحنا اللاهوتي Christodoulos of St. John the Theologian في جزيرة باتموس Patmos بإنشاء مشفى ملحق بالدير لعلاج الجرحى العاملين على السفن بموانيء الجزيرة [٣] . كما أنشأت بعض الأديرة مضايفاً لاستضافة وعلاج المرضى من الفقراء والمسافرين والحجاج المتجهين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين عبر الأراضي البيزنطية ، والتي استضافت المرضى من المسافرين لمدة ثلاثة أيام[٤].

وفي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ترصد أوراق التيبيكا مشفًا آخر في القسطنطينية ، وهو المشفى الملحق بدير ليبس Lips [٥] . وكانت معظم تلك المستشفيات الصغيرة تتكون من صومعة لأحد الرهبان أو الراهبات لتكن بمثابة مشفاً لهم ، بها عدد قليل من الأسِرَّة [٦] ، كما عُين على ذلك المشفى راهب أو اثنان

(1) Phoberos: Rule of John for the Monastery of St. John the Forerunner of Phoberos, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 3, No. 30, ch. 56, p. 937.

(2) Bebaia Elpis: Typikon of Theodora Synadene for the Convent of the Mother of God Bebaia Elpis in Constantinople, trans. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 4, No. 57, ch. 90, p. 1549.

(3) Christodoulos: Rule, Testament and Codicil of Christodoulos for the Monastery of St. John the Theologian on Patmos, trans. P. Karlin-Hayter, BMFD, Vol. 2, No. 24, ch. [A25], p. 592.
وتقع جزيرة باتموس ضمن مجموعة جزر الدوديكانيز بالقرب من ساحل آسيا الصغرى. انظر ،
Gregory, T. E. & Ševcenko, N. P., " Patmos", ODB, Vol. 3, p. 1596.

(4) Attaleiates: Rule of Michael Attaleiates for his Almshouse in Rhaidestos and for the Monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinople, trans. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 1, No. 19, ch. 20, pp. 343; Pakourianos Typikon, ch. 29, p. 549; Roidion Typikon, chs. [B] 2- [B] 3, p. 432; Machairas: Rule of Neilos, Bishop of Tamasia, for the Monastery of the Mother of God of Machairas in Cyprus, trans. A. Bandy, BMFD, Vol. 3, No. 34, ch. 116, p. 1156.

(5) Lips: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Lips in Constantinople, trans. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 3, No. 39, ch. 50, p. 1281.

(6) Evergetis Typikon, ch. 38, p. 495; Pakourianos Typikon, ch. 29, p. 549; Kecharitomene: Typikon of Empress Irene Doukaina Komnene for the

من الرهبـــان كممرضين للسهر على خـــدمة المرضى [١] ، وبلغ حرص رئيس الدير على صحة مرضاه أن ألزم المرضى بالراحة التامة حتى تمام الشفاء [٢] ، كما أُعِـدَّ مكان لطهي الطعام الخاص بالمرضى [٣] ، وتم توفير كل سبل الطعام والشراب مـــن الخبز الأبيض والنبيذ [٤] ، وكذلك مواقد التدفئة [٥] ، كمـــا زُود المرضـــى بالكـــساء

Convent of the Mother of God Kecharitomene in Constantinople, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 27, ch. 44, p. 690.

اختلفت أعداد الأسرّة من دير إلى آخر ، فدير إيفيرجيتيس خصص ثمانية أسرّة ، أما دير فوبيروس فقد خصص أربعة أسرّة ، ودير بانتوكراتور بالقسطنطينية كان به ستة أسرّة ، أما دير ليبس فقد خصص اثنا عشر سريرًا للمرضى ، وثلاثة أسرّة للمرافقين. انظر ،

Evergetis Typikon, ch. 41, p. 497; Phoberos Rule, ch. 56, p. 937; Pantokrator: Typikon of Emperor John II Komnenos for the Monastery of Christ Pantokrator in Constantinople, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 28, ch. 10, p. 745; Lips Typikon, ch. 50, p. 1281.

(1) Ath. Testament: Testament of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery, trans. G. Dennis, BMFD, Vol. 1, No. 14, ch. 17, p. 278; Kellibara II: Typikon of Andronikos II Palaiologos for the Monastery of St. Demetrios-Kellibara in Constantinople, trans. G. Dennis, BMFD, Vol. 4, No. 56, ch. 5, p. 1509; CF. Charanis, P., "The Monk as an Element of Byzantine Society", DOP, Vol. 25 (1971), p. 82.

اختلفت أعداد الممرضين من دير إلى آخر ، فدير إيفيرجيتيس خصص راهبين كممرضين ، أما دير فوبيروس فقد خصص راهب واحد ، وخصص دير كوزموسوتيرا عشرة من الخدم لخدمة المرضى وطريحي الفراش. انظر ،

Evergetis Typikon, ch. 41, p. 497; Phoberos Rule, ch. 56, p. 937; Kosmosoteira: Typikon of the Sebastokrator Isaac Komnenos for the Monastery of the Mother of God Kosmosoteira near Bera, trans. N. P. Ševčenko, BMFD, Vol. 2, No. 29, ch. 61, p. 826.

(2) Kecharitomene Typikon, ch. 44, p. 690; Mamas: Typikon of Athanasios Philanthropenos for the Monastery of St. Mamas in Constantinople, trans. A. Bandy, BMFD, Vol. 3, No. 32, ch. 34, p. 1017; Heliou Bomon: Typikon of Nikephoros Mystikos for the Monastery of the Mother of God ton Heliou Bomon or Elegmon, trans. A. Bandy, BMFD, Vol. 3, No. 33, ch. 33, p. 1074; Athanasios I: Rule of Patriarch Athanasios I, trans. T. Miller, BMFD, Vol. 4, No. 55, ch. 4, p. 1501.

(3) Evergetis Typikon, ch. 41, p. 497.

(4) Pantokrator Typikon, ch. 10, p. 745; Mamas Typikon, ch. 34, p. 1017; Heliou Bomon Typikon, ch. 33, p. 1074; Meteora: Canonical Rule of Athanasios the Meteorite for the Monastery of the Transfiguration (Metamorphosis), trans, G. Dennis, BMFD, Vol. 4, No, 53, ch. 3, p. 1460.

(5) Pakourianos Typikon, ch. 29, p. 549.

والأغطية والأحذية التي تقيهم برد الشتاء [١] ، أما المرضى من الرهبان طريحي الفراش الذين لا يقدرون على الذهاب إلى المشفى فتلقوا العلاج في صوامعهم [٢] ، خاصة النساء الأرستقراطيات اللائي دخلن الأديرة النسائية ، واللائي كان لهن الحق في استقدام إحدى خدمهن السابقات لرعايتهن خاصة في فترة مرضهن [٣] . ولكن بعض الأديرة أرسلت رهبانها إلى أقرب مستشفى للدير لتلقي العلاج ، يرافقهم أحد الرهبان من ذوي النفوذ ليمكنهم الحصول على بعض الأسرّة في المستشفى [٤] . كما تشير التيبيكا إلى أن رئيس الدير كان عليه استدعاء الطبيب يومياً لزيارة المرضى في المشفى [٥] ، وكان هؤلاء من الأطباء العاملين في المستشفيات الحكومية القريبة من الأديرة [٦] ، وقد خصصت لهم بعض الأديرة مرتباً شهرياً مقابل هذا العمل [٧] ، كما قام رئيس الدير بتوفير سرير للطبيب ؛ نظرًا لبقائه في المشفى في بعض الأحيان لمراعاة بعض الحالات شديدة المرض [٨] . وكانت بعض الأديرة تقوم بتوفير بعض الأدوات مثل: الأوعية والأباريق والصابون ومناشف الشعر والأيدي ، بما يجعل ستة مرضى يغتسلون في الوقت نفسه ، بالإضافة إلى الأدوية اللازمة لعلاج المرضى مثل الدهانات والزيوت التي تُخزّن في غرفة المريض[٩].

أما النوع الثاني فهو المستشفيات العامة الكبيرة ، التي انقسمت بدورها إلى نوعين: فمنها ما كان شاملاً لعدد من التخصصات ، ومنها ما كان متخصصاً في

(1) Evergetis Typikon, ch. 38, p. 495; Phoberos Rule, ch. 54, p. 936; Kosmosoteira Typikon, ch. 70, p. 831; Lips Typikon, ch. 50, p. 1281.
(2) Kellibara II Typikon, ch. 5, pp. 1509; Bebaia Elpis Typikon, ch. 90, p. 1549.
(3) Bebaia Elpis Typikon, chs. 93-94, p. 1550.
(4) Mamas Typikon, ch. 34, p. 1017; Heliou Bomon Typikon, ch. 33, p. 1074.
(5) Evergetis Typikon, ch. 41, p. 497; Lips Typikon, ch. 35, p. 1275.
(6) Mamas Typikon, ch. 34, p. 1017; Heliou Bomon Typikon, ch. 33, p. 1074; Kecharitomene Typikon, ch. 57, p. 696; Kellibara II Typikon, ch. 5, pp. 1509; Charsianeites: Testament of Patriarch Matthew I for the Monastery of Charsianeites Dedicated to the Mother of God Nea Peribleptos, trans. Alice-Mary Talbot, BMFD, Vol. 4, No. 60, ch. B 4, pp. 1642-1643.
(7) Kosmosoteira Typikon, ch. 61, p. 825.
(8) Pantokrator Typikon, ch. 10, p. 745; Kosmosoteira Typikon, ch. 70, p. 830.
(9) Pantokrator Typikon, ch. 10, p. 745.

علاج مرض معين ، وانتشرت تلك المستشفيات في الأراضي البيزنطية منذ القرن الرابع الميلادي على يد رجال الدين المسيحيين أو الأباطرة البيزنطيين ، ومن الملاحظ أن المعلومات المصدرية في وثائق التيبيكا عن المستشفيات خلال الفترة السابقة على القرن العاشر الميلادي محدودة للغاية [1] ، لكنها وفيرة في الفترة التالية ، فمثلاً تخبرنا أوراق التيبيكا أن الإمبراطور يوحنا الثاني كومنين John II

---

(١) تعتبر مستشفى القديس زوتيقوس St. Zotikos لمرضى الجُذام أقدم المستشفيات الحكومية البيزنطية ، ونموذجاً للمستشفيات المتخصصة في علاج مرض معين ، وقد تأسست في عهد الإمبراطور قسطنطيوس Constantios (٣٣٧-٣٦١م) إحياءً لذكرى القديس زوتيقوس الذي كان مهتماً بمرضى الجُذام. انظر ،

Constantelos, Byzantine Philanthropy, pp. 165, 170.

وقد أعيد تجديد هذه المستشفى في عهد كل من الإمبراطور هرقل Heraclius (٦١٠-٦٤١م) عام ٦٢٤م ، والإمبراطور قسطنطين السابع Constantine VII (٩١٣-٩٥٩م) ، والإمبراطور يوحنا تزيميسكيس John Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م). انظر ،

Cedrenus, G., Historiarum Compendium, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, Tome. I, pp. 698-699; Leo the Deacon, The History of Leo the Deacon, Byzantine military expansion in the tenth century, trans. A. M. Talbot & D. E. Sullivan, DOC, Washington, D.C., 2005, 6, ch. 5, p. 149; Theophanes Continuatus, Chronographia, VI, ch. 18, p. 449.

كما وردت بعض الإشارات في المصادر التاريخية والجغرافية عن المستشفيات الشاملة لعدد من التخصصات مثل مستشفى باسيلياس Basileias التي أنشأها باسيل أسقف قيصرية Basil bishop of Caesarea في إقليم قبادوقية Cappadocia عام ٣٧٢م لعلاج المرضى الفقراء من البيزنطيين. انظر ،

Sozomenus, Church History, trans. Ch. D. Hartranft, NPNF, Vol. II, ed. Ph. Schaff & H. Wage, New York, Oxford & London, 1890, Bk. 6, ch. 34, p. 371.

كذلك مستشفى سامبسون Sampson بالقسطنطينية ، والتي بناها شخص بنفس الاسم في بداية القرن السادس الميلادي، ولكنها احترقت خلال ثورة النصر عام ٥٣٢م ، فجددها الإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م). انظر ،

Procopius, Buildings, trans. G. Downey, in: The Loeb Classical Library, ed. E. H. Warmington, Vol. VII, Harvard University Press, Cambridge - Massachusetts, 1971, 1, ch. 2, pp. 36-37; Gilles, P., Topography of Constantinople and its Antiquities: A new translation with commentary, trans. K. M. Byrd, Ph.D. Dissertation, Graduate School - New Brunswick Rutgers, The State University of New Jersey, 2002, 2, ch. 8, pp. 322-323.

وفي عام ٥٤٢م بنى جستنيان مستشفى في ضاحية دافني Daphne بمدينة أنطاكية Antiochus باسم الراهب توماس Thomas لتكون: "منتجعًا للمرضى" ، حسب رواية إيفاجريوس.

Evagrius Scholasticus, The Ecclesiastical History, trans. M. Whitby, TTH, Vol. 33, Liverpool University Press, 2000, 4, ch. 35, p. 240.

Comnenos (١١١٨-١١٤٣م) أنشأ مستشفى بانتوكراتور بمدينة القسطنطينية في أكتوبر ١١٣٦م ، إذ خُصِصَ جزء منها ليكون خاصاً بمرضى الجُذام ، وأُوقف عليها الإمبراطور الكثير من الأوقاف [١] ، كما كانت هناك مستشفى لعلاج مرضى الجُذام في نيقوسيا بجزيرة قبرص خلال القرن الثالث عشر الميلادي [٢] . وكانت مستشفى دير بانتوكراتور بالقسطنطينية هي النموذج الأمثل للمستشفيات العامة التي تضم الكثير من التخصصات ، فإذا ما نظرنا إلى تقسيم مستشفى بانتوكراتور يتضح لنا أنها كانت تَتَسِع لخمسين مريضًا في الوقت نفسه ، وبها حوالي ٦١ سريراً [٣] ، مُقسمين على خمس عيادات متخصصة (عنابر):

- عشرة أَسِرَّة للجرحى ومَنْ يعانون من الكسور.
- ثمانية أَسِرَّة أخرى لمرضى الرمد ، والأمراض الباطنة الحادة والمزمنة.
- اثنا عشر سريراً لأمراض النساء.
- عشرون سريراً موزعين على قسمين لاستقبال حالات الأمراض العامة.

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن كل قسم من الأقسام الخمسة السابقة احتوى على أكثر من سرير لحالات الطوارىء ، خُصص منها ستة أَسِرَّة أو أكثر لتوضع جانباً ، وزُودت بمرتبة مثقوبة من المنتصف لهؤلاء الذين لا يستطيعون التحرك من شدة آلامهم ، وخطورة كسورهم وجروحهم ، حتى يستطيعوا قضاء حاجاتهم دون الحاجة إلى النزول من السرير ، وكانت تلك الأَسِرَّة تُغَطَّى بسجادة وبرية ومرتبة ووسادة وغطاء ، ويُزَوَّد كل سرير في الشتاء ببطانيتين مصنوعتين من شعر الماعز ، ويتم تجديد تلك الأغطية بشكل دوري كل عام ، خاصة المفارش والوسادات والبطاطين الممزقة التي يتم خياطتها مرة أخرى[٤].

وهنالك نموذج آخر للمستشفيات العامة التي تضم الكثير من التخصصات ، وهو مشفى دير كوزموسوتيرا في إقليم التراقيسيان بآسيا الصغرى ، والذي أنشأه إسحاق كومنين أحد أولاد الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين عام ١١٥٢م ، فقد

(1) Pantokrator Typikon, ch. 63, p. 767.
(2) Machairas Rule, ch. 170, p. 1166.
(3) Constantelos, Byzantine Philanthropy, p. 174.
(4) Pantokrator Typikon, chs. 36-37, p. 757.

ضمت هذه المستشفى عنبراً واحداً خارج أسوار الدير ، يضم حوالي ستةً وثلاثين سريراً ، مقسمين إلى صفين متقابلين ، وتشير تيبيكا كوزموسوتيرا أن الإقبال على تلك المستشفى كان كبيرًا للغاية ، حتى أنه لم يكن بها سريرًا شاغرًا أبدًا ، فما إن يخرج أحد المرضى بعد تماثله للشفاء حتى يحل محله أحد المرضى الجُدد في أقل من ساعة ، وكان كل سرير يُغَطّى بسجادتين من الصوف الكريتي (نسبة لجزيرة كريت) عُوضًا عن المرتبة ، وحصيرة من السُمار ، وبطانيتين صغيرتين من الصوف ، وغطاء صوفي ثقيل بدلاً من الفراش ، ووسادة من القماش مملوءة بالصوف . وكانت كل تلك الأغطية يتم تغييرها عند استقبال كل حالة جديدة ، خاصة حالات الحوادث[1].

وكانت المستشفيات العامة تتبع إجراءاتٍ خاصة لاستقبال المرضى لدى دخولهم ، ومن تلك الإجراءات صرف ملابس خاصة بالمرضى ، وهي عبارة عن قمصان ومعاطف يتسلمها المريض بعد دخوله المستشفى ، في حين يقوم بتسليم ملابسه الخاصة إلى إدارة المستشفى ، والتي تقوم بدورها بتنظيفها وغسلها [2] ، ثم تُحفظ للمريض حتى موعد خروجه ، وقد أشارت تيبيكا بانتوكراتور إلى أن المستشفى قامت بتجديد الملابس التي تقدمها للمرضى بشكل دوري كل عام[3].

الأطباء والمساعدون والممرضون والوظائف الخدمية الأخرى

لقد أصبحت المستشفيات البيزنطية مؤسسات ذات شقين: تقديم الخدمة العلاجية ، ومأوى لكثير من الذين لا مأوى لهم ، يقوم على خدمتهم عدد من الأطباء والممرضين والممرضات والصيادلة [4] ، وبناءً على ذلك تم توزيع الأطباء ومساعديهم والممرضين في مستشفى بانتوكراتور بناءً على تقسيم المستشفى إلى خمسة أقسام ، فاختص كل قسم بإشراف اثنين من رؤساء الأطباء ، يساعدهم ثلاثةٌ من الأطباء ، واثنان من طلاب الطب تحت التدريب ، واثنان من الممرضين ، أما

(1) Kosmosoteira Typikon, ch. 70, p. 830.
(2) Pantokrator Typikon, ch. 52, p. 764.
(3) Ibid., ch. 37, p. 757.
(4) Miller, Byzantine Hospitals, pp. 57-60.

بالنسبة لقسم النساء فقد رافقت إحدى الطبيبات رؤساء الأطباء الذكور [1]، يساعدهم أربع طبيبات ، واثنتان من طالبات الطب تحت التدريب ، وممرضتان ، هذا في أثناء الفترة الصباحية ، أما الفترة المسائية فقد بقي بالمستشفى أربعة من الأطباء ، وطبيبة لقسم النساء ، وأُطلق على هؤلاء مُلاحظون (نوبتجية) ، بالإضافة إلى وجود أربعةٍ من الأطباء الإضافيين في قسم الطواريء ، اثنين لأمراض الباطنة ، واثنين من الجَرّاحَيْنِ ، يساعدهم أربعة من الأطباء الممارسين ، وأربعة من طلاب الطب ، ومن الملاحظ أن هؤلاء الأربعة من أطباء الطواريء انقسموا إلى فرقتين ، كل فرقةٍ تحتوي على اثنين من الأطباء تخدم لمدة شهر بالتناوب مع المجموعة الأخرى ، كما أن الطَّبِيبَيْنِ الجرّاحَيْنِ كانا يخدمان كلاً من أقسام الذكور والإناث على السواء ، وقد أشرف على كل هؤلاء اثنان من كبار الأطباء ، أُطلق على كل منهما لقب بروتومينيتاي protomenitai ، بالإضافة إلى اثنين من الأطباء يشرفان على كل الأطباء في الأقسام الخمسة، أُطلق على الواحد منهما بريميكيريوس primmikerios، ووظيفته زيارة المرضى يوميًا ، والقيام بفحصهم بعناية وبدقة ، وتقرير العلاج المناسب لكل شخص مريض ، ومحاسبة العاملين بالمستشفى على أي إهمال قد يقع منهم ، كما يشرف البريميكيريوس على الطعام المُقدم إلى المرضى ، وتحويل المرضى الجدد إلى الطبيب المختص لعلاجه[2].

---

(1) Pantokrator Typikon, ch. 38, p. 757.

ويرى الباحث اليوناني ديمتريوس كونستنتيلوس أن الطبيبة التي كانت ترافق الطَّبِيبَيْنِ في قسم النساء ما هي إلا قابلة درست الطب وحصلت على تدريب جيد على يد الأطباء. انظر ،

Constantelos, Byzantine Philanthropy, p. 174.

(2) Pantokrator Typikon, chs. 38-40, pp. 757-758; ch. 55, p. 765.

ويرى ديمتريوس كونستنتيلوس أن وظيفة protomenitai أطلقت على الأطباء الذين كانوا يقررون قبول المرضى في المستشفى. انظر ،

Constantelos, Byzantine Philanthropy, p. 174.

أما تيموثي ميلر فيرى أن البروتومينيتاي هو المسئول عن علاج أمراض العيون والأمراض المعوية. أما البريميكيريوس فهو المشرف على برنامج العلاج في المستشفى من خلال المرور مع مساعديه على المرضى ، كما يراجع البريميكيريوس على تشخيص أطباء الطواريء في الحالات الخطرة. انظر ،

Miller, The Birth of the Hospital, pp. 15-16.

وبالإضافة إلى ما سبق كان هناك طبيبان إضافيان مهمتهما الذهاب إلى الدير لتوقيع الكشف على المرضى غيّر القادرين على الذهاب إلى المستشفى ، وقد خدم كل من هذين الطَّبِيبَيْنِ شهرًا بالتعاقب [1] ، وعلى ذلك فإن عدد الأطباء في مستشفى بانتوكراتور بلغ حوالي ٤٦ ما بين رؤساء أطباء وأطباء ، أما طلاب الطب تحت التدريب فقد بلغ عددهم ١٤ طالباً ، كما بلغ عدد الممرضين والممرضات حوالي ١٠ أفراد [انظر جدول (١)] ، وهذا يخالف ما قاله ديمتريوس كونستنتيلوس بأن عدد الأطباء في مستشفى بانتوكراتور بلغ حوالي ٣٥ طبيبًا [2].

النوع	رؤساء الأطباء		الأطباء		الممرضون	
	أقسام الذكور	قسم النساء	قسم الذكور	قسم النساء	أقسام الذكور	قسم النساء
صباحاً	٨ أطباء	- طبيبان - طبيبة	- ١٢ طبيب - ٨ طلاب تحت التدريب	- ٤ طبيبات - طالبتان تحت التدريب	٨ ممرض	٢ ممرضة
المجموع:	١٩ طبيب + ١٠ طلاب طب					
مساء	-		- ٤ أطباء	- طبيبة	-	-
المجموع:						
طوارىء	- جراحان - طبيبان أمراض باطنة		- ٤ أطباء - ٤ طلاب تحت التدريب		-	-
المجموع:	٤ أطباء + ٤ طلاب طب					
خدمة الدير	-		طبيبان		-	-
المجموع						
المشرفون	- ٢ بروتوميتيس - ٢ بريميكيريوس		-		-	-
المجموع:						
مجموع كلي	١١+٤+٤=١٩ رؤساء أطباء		٢٧ طبيباً + ١٤ طالب طب		١٦ ممرضين	

جدول (١)

على أقسام مستشفى بانتوكراتور

(1) Pantokrator Typikon, ch. 40, p. 760

(2) Constantelos, Byzantine Philanthropy, p. 174.

وحسب الترتيب الهراركي فإن الطَّبِيبَيْنِ المُلقبيْن بالبروتومينيتيس جاءا في أعلى الترتيب ، يليهما الجراحان المشرفان على عنبر الجرحى ومَنْ يعانون من الكسور ، ثم الأربعة الأطباء المشرفون على قسميّ الأمراض العامة ، ويليهم أربعة أطباء من بينهم الطبيبان المشرفان على عنبر النساء ، ثم يأتي بعد ذلك الطبيبان المخصصان لخدمة الدير ، وفي أسفل هذا الترتيب يأتي الأطباء الأربعة العاملين في قسم الطواريء ، ثم بقية الأطباء وطلاب الطب [1] . ومن المُلاحظ أن كل هؤلاء الأطباء تم تقسيمهم إلى مجموعتين ، كل مجموعة تخدم في المستشفى شهرًا بالتناوب مع الأخرى ، ونفس الأمر مع المُشرِفَيْن (بريميكيريوي) *primikerioi* ، فإن كل واحداً منهما خدم في المستشفى لمدة شهر [2] . ولم يكن يُسمح للأطباء العاملين في مستشفى بانتوكراتور بالعمل خارج الدير ، وزيارة بيوت العلمانيين ، والحصول على أجر زيادة عما يحصل عليه الطبيب من المستشفى ، كما حُرم عليهم حمل أدوات المستشفى خارجها[3].

وكانت أديرة النساء تستعين بالأطباء الذكور لعلاج الراهبات المريضات [4] ، ربما لقلة أو عدم خبرة الطبيبات البيزنطيات آنذاك ، مما دفع بعض الأديرة النسائية إلى تدريب الراهبات وحرصهن على متابعة الأطباء أثناء استدعائهم إلى الدير ، حتى يمكنهن عدم الاستعانة بهم في الحالات المشابهة مستقبلاً [5] ، كما اشترطت أديرة

([1]) Miller, The Birth of the Hospital, pp. 15-16.

([2]) Pantokrator Typikon, chs. 39-40, p. 758.

([3]) Ibid., ch. 54, p. 765.

تلقى الأطباء في المدن الصغيرة والقرى أجرهم عينا على شكل دواجن ولحوم وبازلاء ونبيذ وقمح وفواكه ، كما قام بعض كبار مُلاك الأراضي الزراعية بإحضار الأطباء لعلاج الفلاحين العاملين في أراضيهم. انظر ،

Maniatis, G. C., "The Personal Services Market in Byzantium", Byz, Vol. 73, fasc. 2 (2003), p. 29, note.12

([4]) Bebaia Elpis Typikon, ch. 90, p. 1549.

([5]) Ibid., ch. 92, p. 1550.

أخرى أن يكون الطبيب الذكر إما خصيًا أو من كبار السن ، حتى لا يقع في الخطيئة مع الراهبات[١].

وإلي جانب الأطباء والممرضين وُجِدَ في مستشفى بانتوكراتور مدير المخازن الذي كان مسئولاً عن تخزين المواد اللازمة للمرضى من الطعام والأغطية والملابس والأدوات الطبية [٢]. بالإضافة إلى ستة من الصيادلة ينقسمون إلى: رئيس الصيادلة ، وثلاثة من الصيادلة المعتمدين ، واثنين من الصيادلة المساعدين ، بالإضافة إلى أربعة من طلاب الصيدلة تحت التدريب[٣].

بالإضافة إلى ما سبق وُجِدَ العديد من الوظائف الخدمية مثل: حارس البوابة ، وخمس من النساء يَقُمن بغسل ملابس المرضى ، والمسئول عن تسخين المياه ، واثنان من الطهاة ، وسائس خيول يعمل في طاحونة المستشفى ويقوم برعاية خيول الأطباء ، ومتعهد توريد أطعمة ولوازم للمستشفى ، واثنان من القسيسين لسماع اعترافات المرضى المُشرفين على الموت ، واثنان من الخبازين ، وأربعة من الحانوتية ، وقسيس لجنازات الموتى ، وعامل مجاري ، وعامل لطحن الغلال[٤].

الأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج

على الرغم من المعلومات الوفيرة التي حظيت بها تيبيكا الأديرة البيزنطية ، فإنها لم تكن كذلك في أثناء الحديث عن الأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج اللازمة ، ولكن يمكننا أن نستشف بعض الأمراض التي كانت منتشرة آنذاك من خلال عدد من المعطيات: فمثلاً يمكننا من خلال الرجوع إلى تقسيم مستشفى بانتوكراتور أن نتعرف على بعض الأمراض التي قُسمت على أساسها المستشفى ، فهناك جزء خاص بمرضى الجذام [٥] ، كما وُجِدَ الجرحى ومَنْ يعانون من الكسور ، كذلك مَنْ يعانون من الأمراض الباطنة الحادة والمزمنة ، بالإضافة إلى أمراض النساء ،

(1) Kecharitomene Typikon, ch. 57, p. 696; CF. Ringrose, K. M., The perfect servant: Eunuchs and the social construction of gender in Byzantium, The University of Chicago Press, Chicago & London, 2003, pp. 83, 85, 111.
(2) Pantokrator Typikon, ch. 41, p. 758.
(3) Ibid., chs. 43, 52, pp. 759, 763.
(4) Ibid., ch. 43, p. 759.
(5) Ibid., ch. 63, p. 767.

والأمراض العامة مثل الحمى وأوجاع الرأس [١] ، كذلك مَنْ يعانون من الرمد والمياه البيضاء [٢] ، كما يمكننا أن نتعرف على بعض الأمراض من قائمة الوظائف والمرتبات الخاصة بالأطباء والعاملين بالمستشفى ، فمثلاً هناك الجَرّاحِيْن ، مما يعني وجود بعض الجراحات الخاصة بالكسور والقطوع ، وكذلك أمراض الفتوق ، خاصة الفتوق الإربية والدوالي [٣] ، وكذلك العمليات الجراحية الصغيرة مثل: الأكياس الدهنية والحجامة وفصد الدم[٤].

كما يمكننا التعرف على بعض الأمراض من خلال الأدوات والأدوية التي كانت تُخزن في مخزن الدير ، فمثلاً وجود مادة المُسهل دليل على وجود الأمراض المعوية [٥] ، ووجود أداة كَيّ حديدية ربما يعني قيام الأطباء بعلاج داء

---

(1) Ibid., ch. 36, p. 757.

(2) Ibid., ch. 36, p. 757; CF. Lascaratos, J. & Marketos, S., "Ophthalmological therapy in hospitals (xenones) in Byzantium", **Documenta Ophthalmologica**, Vol. 77 (1991), pp. 377-378; Lascaratos, J., "Miraculous Ophthalmological therapies in Byzantium", **Documenta Ophthalmologica**, Vol. 81 (1992), p. 146.

(3) Pantokrator Typikon, ch. 52, pp. 762-764.

وربما تكون تلك العمليات قد أجريت للعاملين والحرفيين الذين يقفون لساعات طويلة في أعمالهم. انظر

Lascaratos, J., "Surgery on Varices in Byzantine times (324-1453 CE)", **JVS**, Vol. 33, No.1 (Jan. 2001), pp.197-199; Idem. & als., " Surgery for Inguinal Hernia in Byzantine times (A.D. 324–1453): First Scientific Descriptions", **World J. Surg.**, Vol. 27 (2003), p. 1165.

(4) Pantokrator Typikon, ch. 52, p. 764; CF. Bliquez, L. J., " Two Lists of Greek Surgical Instruments and the State of Surgery in Byzantine Times", **DOP**, Vol. 38 (1984), p. 190.

وكان يوحنا كيناموس في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي قد ذكر أن أحد العامة المدعو توماس من ليسبوس Lesbos قد عمل بحرفة الحجامة بمدينة القسطنطينية ليكسب نفقات معيشته. انظر ،

John Kinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. Ch. M. Brand, Columbia University Press, New York, 1976, 7, ch. 2, p. 222.

انظر أيضا ، كيناموس ، أعمال يوحنا وماتويل كومنينوس ، منشور ضمن: الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية ، ترجمة/ د. سهيل زكار ، جـ ٢٨ ، دمشق ، ١٩٩٧م ، كتاب ٧ ، ف ٢ ، ص ٢٨٣.

(5) Pantokrator Typikon, ch. 51, p. 762.

الكلب (السُعَار) عن طريق الكَيّ ، أو علاج بعض التقرحات الجلدية [١] ، كذلك وجود الكثير من المباضع ، خاصة مباضع خلع الأسنان [٢] ، لدليل على وجود أمراض مثل أمراض تسوس الأسنان ، إلى جانب أمراض الأنف والأذن والحنجرة [٣] ، كما أن وجود المباضع التي تستخدم في العمليات الجراحية الكبرى ، إلى جانب القسطرة ، وآلات الجراحة الأخرى ، لهو دليل على إجراء العمليات الخاصة بأمراض الباطنة مثل عمليات المسالك البولية [٤] . كذلك عمليات البتر التي كانت تُستخدم في بعض الأحيان حتى لا تنتشر العدوى في بقيّة أجزاء الجسم[٥].

وإلى جانب الجراحة ، ذكرت التيبيكا أن النظافة الشخصية كانت من وسائل العلاج الناجحة ، والتي تمثلت في ضرورة ذهاب المرضى بمرافقة المُساعدين والممرضين إلى حَمَّام المستشفى ، بل في بعض الأحيان كان المريض يُجبر على الذهاب إلى الحَمَّام بناءً على أمر الأطباء [٦] ، غير أن بعض الأديرة لم تكن تسمح

---

(1) Ibid., ch. 52, p. 764; CF. Théodoridès, J., " Rabies in Byzantium Medicine", **DOP**, Vol. 38 (1984), p. 157.

(2) Pantokrator Typikon, ch. 52, p. 764.

(3) Lascaratos, J. & Assimakopoulos, D., "From the Roots of Otology: Diseases of the Ear and Thier Treatment in Byzantine Times (324-1453 A.D.)", **AJO**, Vol. 20 (1999), p. 398; Ramoutsaki, I. A., "Otolaryngologic Diseases and Medical Treatment during the Byzantine Period", **JO**, Vol. 29, No. 6 (2000), pp. 384-385.

وقد قام مجموعة من الباحثين الأثريين الأتراك بدراسة مهمة للغاية عن أسباب تسوس الأسنان لدى البيزنطيين خلال القرن الثالث عشر الميلادي بناءً على نوعية الطعام ، ووصلوا إلى نتيجة مفاداها أن أكثر البيزنطيين تعرضاً للتسوس كانوا في الفئة العمرية ما بين ٢٦-٣٥ عاماً ، وكان أكثرهم من الذين يغلب على طعامهم المواد السكرية. انظر ،

Caglar, E., & als., "Prevalence of dental caries and tooth wear in a Byzantine population (13th c. A.D.) from northwest Turkey", **AOB**, Vol. 52 (2007) pp. 1136 – 1144.

(4) Pantokrator Typikon, ch. 52, p. 764.

(5) Ath. Rule: Rule of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery, trans. G. Dennis, **BMFD**, Vol. 1, No. 11, ch. 19, p. 225.

(6) Pantokrator Typikon, ch. 46, p. 760; Kecharitomene Typikon, ch. 58, p. 696; Kosmosoteira Typikon, ch. 70, p. 831; Kellibara II Typikon, ch. 5, p. 1509; Bebaia Elpis Typikon, ch. 90, pp. 1549-1550; Lips Typikon, ch. 34, p. 1275.

باستحمام الرهبان إلا المرضى منهم [١] . ولكن البيزنطيون كانوا مهتمين غاية الاهتمام بالصحة العامة ، وذلك تفادياً لانتشار الأمراض ، وهذا ما ترصده بعض وثائق الأديرة البيزنطية ، فتيبيكا كوزموسوتيرا ذكرت أن رئيس الدير كان عليه تدبر أمر توفير الماء من خلال الصهريج القريب من الدير ، كما كان من الأمور الواجبة تطهير ذلك الصهريج ، وتنظيف مراحيض الرهبان بالماء الوفير ، خشية انتشار الأمراض من جراء انسداد فتحات المراحيض بالرواسب[٢].

وبسبب وفرة المياه ، كَثُرَت الحَمَّامات العامة بالعاصمة وغيرها من المدن البيزنطية [٣] ، كما قامت بعض الأديرة ببناء الحَمَّامات العامة في المنطقة المحيطة بالدير ، وتم جلب ماء النبع الخاص بالدير سواء كان نهراً أو بئراً إلى تلك الحَمَّامات ، حيث رأى الرهبان ضرورة الاهتمام بتلك المنشآت الإنسانية التي تخدم الطبقة الفقيرة المفتقدة للحمامات الخاصة في منازلها [٤] ، فبين عامي (١٢٩٢-١٢٩٤م) قامت الأميرة ثيودورا باليولوجينا *Theodora Palaiologina* بوقف قطعتين من الأرض في حي غلاطية بالعاصمة القسطنطينية لعمل حَمَّامين للعامة البيزنطيين تراوح مساحتهما ما بين ١٠-٣٠ موديوس (٢-٦ أفدنة) [٥] ، ويشهد العدد

---

(1) Evergetis Typikon, ch. 28, p. 491; Neophytos: Testamentary Rule of Neophytos for the Hermitage of the Holy Cross near Ktima in Cyprus, trans. C. Galatariotou, **BMFD**, Vol. 4, No. 45, ch. 23 [C9], p. 1364.

(2) Kosmosoteira Typikon, ch. 113, p. 847.

(٣) كانت أشهر الحَمَّامات العامة في العاصمة حَمَّام زيوكسيبوس في شرق القسطنطينية ، وحَمَّام قسطنطين ، الذي أنشأه الإمبراطور قسطنطين الأول ، وحُملت المياه إليه عن طريق قناة المياه المحمولة على قنطرة فالنز. انظر ،

Gilles, Topography of Constantinople, Bk. 2, ch. 7, p. 279; Bk. 3, ch. 9, pp. 415-416.

(4) Kecharitomene Typikon, ch. 79, p. 707; Kosmosoteira Typikon, ch. 113, p. 847.

(5) Anargyroi: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Sts. Kosmas and Damian in Constantinople, trans. A. M. Talbot, **BMFD**, Vol. 3, No. 40, ch. 4, p. 1292.

والموديوس وحدة وزن ومساحة ، والموديوس البيزنطي = ٤٠ رطل من القمح ، أما موديوس المساحة = ٨٨٨,٧٣ متر مربع = ٥ قراريط. انظر ،

Schilbach, E & Kažhdan, A., "Modios", **ODB**, Vol. 2, p. 1388.

الكبير للحَمَّامات العامة – والتي شُيد أغلبها في القسطنطينية ومدن الأقاليم – على حب البيزنطيين المدنيين الشديد للنظافة ، أما رجال الدين فقد نادوا بالزهد والتقشف ، واعتُبر الامتناع عن الاستحمام سلوكاً ممدوحاً بين رجال الدين ، فلم تبنِ بعض الأديرة حَمَّامات خاصة بها [١] ، بينما قام البعض الآخر ببناء بعض الحَمَّامات التي أُلحقت بالأديرة [٢] ، ومن الملاحظ أن البيزنطيين كانوا يذهبون إلى الحَمَّامات العامة ثلاث مرات أسبوعياً [٣] ، ليستمتعوا بغسل أجسادهم بالماء الساخن ، وخاصة المرضى الذين رغبوا في إزالة الأدران عن أجسادهم [٤] ، أما النساء فكان يُسمح لهن في بعض المناطق بدخول الحَمَّامات العامة في ساعات معينة من اليوم [٥] ، وفي مناطق أخرى حُدِدَ لهن يوما الأربعاء والجمعة من كل أسبوع[٦].

---

(1) Mamas Typikon, ch. 28, p. 1014; Heliou Bomon Typikon, ch. 28, p. 1071.

(2) Evergetis Typikon, ch. 28, p. 491; Phoberos Rule, ch. 46, p. 925.

قامت بعض الأديرة ببناء حمامات خارج الدير ؛ ليستخدمها العامة من الناس مقابل ما تتلقاه من نذور من المرتادين للحمامات. انظر ،

Kosmosoteira Typikon, ch. 113, p. 847.

(3) Kosmosoteira Typikon, ch. 97, p. 841.

كان دير ليبس للنساء بالقسطنطينية لا يسمح لراهباته بالإستحمام أكثر من أربع مرات سنويًا ، ولكنه لم يحدد عدد مرات الاستحمام المسموح بها لمرضاه ، وربطها برأي الطبيب المعالج لهؤلاء المريضات. انظر ،

Lips Typikon, ch. 34, p. 1275.

(4) Evergetis Typikon, ch. 28, p. 491; Phoberos Rule, ch. 46, p. 925; Pantokrator Typikon, ch. 46, p. 760; Kosmosoteira Typikon, ch. 97, p. 841; Menoikeion: Typikon of Joachim, Metropolitan of Zichna, for the Monastery of St. John the Forerunner on Mount Menoikeion near Serres, trans. T. S. Miller, BMFD, Vol. 4, No. 58, ch. 15, p. 1601.

(5) Life of Sts. David, Symeon, and Gregory of Lesbos, trans. D. D. Forasté, BDI, ch. 3, p. 153.

(6) Life of St Theodora of Thessalnike, trans. A. M. Talbot, HWB; p. 235; Kosmosoteira Typikon, ch. 97, p. 841.

وكان النساء يذهبن إلى الحمامات العامة وهن يحملن معهن أوعية الاستحمام مثل الأباريق. انظر ، كلاري (روبرت) ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة/ د. حسن حبشي ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ف ١٦٥ ، ص ١٢٣ ؛ ف ٢٠٧ ، ص ١٣٩.

وإلى جانب العلاج بالجراحة والعلاج بالنظافة الشخصية ، أُستخدم العلاج الروحي ، حيث كان المريض يذهب إلى الكنيسة المُلحقة بالمستشفى للصلاة والابتهال إلى ربه [١] ، ففي دير بانتوكراتور وُجدت كنيستان ، إحداهما للرجال ، والأخرى للنساء ، ذهب إليهما المرضى أربع مرات أسبوعياً في أيام الأربعاء والجمعة والسبت والأحد ، إلى جانب أيام الأعياد ، والاحتفال بإحياء ذكرى الموتى من المرضى [٢] . كما لجأ البيزنطيون إلى زيارة أضرحة القديسيْن للاستشفاء ، خاصة ضريح القديسَيْنِ كوزماس ودميان بالقسطنطينية عُوضاً عن العلاج على يد الأطباء [٣] ، حيث غلب على البيزنطيين في ذلك العصر شيء من الروحانيات المقترنة ببعض الخرافات، وشاع بينهم الاعتقاد بأن القديسيْن يمكنهم شفاء المرضى [٤] ؛ ربما لعدم قدرة بعض المرضى على تحمل تكاليف العلاج لدى الأطباء ، أو تفضيل المريض التداوي على يد القديس بدلاً من الطبيب [٥] . أو فشل الأطباء في علاج المرضى [٦] ، ونتيجةً لذلك انزوى دور الأطباء إلى الظل في بعض الفترات[٧].

([1]) Pakourianos Typikon, ch. 28, p. 549.

([2]) Pantokrator Typikon, ch. 51, p. 762.

([3]) Procopius, Buildings, I. vi, p. 63; Lascaratos, Miraculous Ophthalmological therapies, p. 146.

([4]) Talbot, A. M., "Pilgrimage to Healing Shrines: The Evidence of Miracle Accounts", DOP, Vol. 56 (2002), pp. 155, 159, 162; Foss, C., "Pilgrimage in Medieval Asia Minor", DOP, Vol. 56 (2002), pp. 141-142.

([5]) Rosenqvist, J. O., "Miracles and Medical Learning, The case of St. Eugenios of Trebizond", Bsl, Vol. 56, No. 1 (1995), pp. 461, 464; Maniatis, Personal Services Market, pp. 26-27.

([6]) George Akropolites, The History, trans. R. Macrides, OSB, Oxford University Press, 2007, chs. 52, 74, pp. 270, 335.

([7]) Kažhdan, A., "The Image of the Medical Doctor in Byzantine Literature of the Tenth to Twelfth Centuries", DOP, Vol. 38 (1984), p. 45.

وعن المعتقدات الشعبية البيزنطية حول دور القديسين في الشفاء ، وعجز الطب التقليدي في مواجهة العلاج المقدس ، والصورة السلبية عن الأطباء في سير القديسين والقديسات ، خاصة طمع الأطباء وابتزازهم للمرضى مقابل العلاج المجاني للقديسين ، انظر ، عبد العزيز رمضان ، " البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر" ، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط ، مج ٥ ، ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م ، ص ٤٨-٦٣ ؛ محمد زايد عبد الله ، =

أدوات الجراحة والأدوية والصيدلة

أكدت التيبيكا على ضرورة توفير المـــواد اللازمـــة والأدوات الخاصـــة بالمرضى [١] ، فكان على رئيس الدير توفير كافـــة الأدوات الطبيـــة في مخـــازن الدير [٢] . أما على صعيد الأدوات الجراحية فقد كان هناك مجمرتين من النحـــاس ، واحدة في غرفة الجراحة ، وأخرى مشابهة لهـــا في قســـم النســـاء ، واللتان زودتـــا بالفحم [٣] ، ربما أُستخدمتا في عمليات كَيّ الجروح . بالإضافة إلى هذا كـــان هنـــاك شاحذ المُوسَى الذي يقوم بتطهير الآلات الطبية في المستشفى ، والتي تـــستعمل فـــي العمليات الجراحية ، حيث كان لابد من توفير جميع أنـــواع المباضـــع فـــي مخـــزن المستشفى ، بالإضافة إلى أدوات الكَيّ الحديدية ، والقسطرة ، ومبضع لخلع الأسنان ، وأدوات لعلاج أمراض الباطنة وأمراض الرأس ، وأوعية غسيل نحاسية وأبـــاريق ، يُخصص لكل قسم من أقسام المستشفى واحدٌ منها ، وللأطباء أيضا لغسل أيديهم بعـــد الانتهاء من العمليات الجراحية ، مما يقلل من انتـــشار الأمـــراض بـــين المرضـــى والأطباء على السواء[٤].

وقد أوصت وثائق الأديـــرة بضرورة تنـــاول المرضى للأدويـــة حتى يـــتم الشفاء [٥] ، ولذلك خُصصت خلية في الأديرة لتخزين الدواء والأدوات الطبيـــة [٦] ، فأُستخدم المُسهل لعلاج أمراض الأمعاء [٧] ، كما أُستخدم الماء الساخن المُضاف إليـــه

=طبقة العامة في الإمبراطورية البيزنطية خلال العصر البيزنطي الأوسط (من القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي) ، رسالة دكتوراة غير منـــشورة ، آداب الفيـــوم ، ٢٠١٠م ، ص ٢٤٤-٢٥١.

(1) Pantokrator Typikon, ch. 10, p. 745.

(2) Ibid., ch. 52, p. 764.

ووُجِدَت مجموعة من أدوات الجراحة البيزنطيـــة في مدينة كورنثه ، وهي عبارة عن ملاقيط بأيدي خشبية ، ومِسْبَر حاد في إحدي جوانبه ، ومبضع ، وأدوات برونزية تشبه السكين. انظر ،

Bliquez, Greek Surgical Instruments, p. 188.

(3) Pantokrator Typikon, ch. 51, p. 762.

(4) Ibid., ch. 52, p. 764.

(5) Kellibara II Typikon, ch. 5, p. 1509; Bebaia Elpis Typikon, ch. 90, p. 1550.

(6) Kecharitomene Typikon, ch. 57, p. 696.

(7) Pantokrator Typikon, ch. 51, p. 762.

بعض الكمون أو الشمر لعلاج انتفاخ البطن ، وطرد الغازات من المعدة ، خاصة وأن الماء البارد يُضعف المعدة[١].

وتبعًا لما ورد في وثائق الأديرة فإن الصيادلة كانوا يجمعون الأعشاب الطبية من الجبال والبراري في شهر مايو من كل عام [٢] ، حيث استخدموا زيت الزيتون في أغراض تحضير المراهم والدهانات والحقن الشرجية ، كما استخدموا العسل وماء الورد وعصير العنب الحامض الممزوج بالعسل في صناعة الأدوية [٣] . بالإضافة إلى اللبان ونبات المُرّ والبخور والصمغ والبيض والنشا لصناعة بعض الأدوية الطبية الأخرى [٤]. كما أُستخدم الشعير لعمل شراب الشعير المفيد لأمراض الباطنة ، وكذلك أُستخدمت نشارة الخشب ونُخالة الدقيق والقماش في عمل الكمادات [٥] . وكان العديد من المرضى وخاصة في المناطق النائية يتلقون العلاج على يد أقاربهم مِمَنْ لديهم معرفة بالعلاج بالصلصال والدهانات والشَرْبَة ، نظرًا لعدم وجود أطباء في تلك المناطق[٦].

=ذكر أحد المصادر التاريخية أن مادة ευφορβιον أو εφολβιον التي أستخدمت كمُسهل في بعض الأحيان ، أستخدمت أيضا كمخدر للجروح في أحيان أخرى. انظر ،

George Akropolites, The History, ch. 52, p. 270.

(1) Blemmydes: Typikon of Nikephoros Blemmydes for the Monastery of the Lord Christ-Who-Is at Ematha near Ephesos, trans. J. Munitiz, BMFD, Vol. 3, No. 36, ch. 11, p. 1204.

(2) Pantokrator Typikon, ch. 52, p. 762.

كانت أكثر المناطق التي تنبت فيها النباتات العطرية في الإمبراطورية البيزنطية المنطقة الجبلية المطلة على ساحل البحر المتوسط بآسيا الصغرى. الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، القاهرة ، د.ت ، مج ٢ ، ص ٨٠٦.

ولقد نمى في تلك الجبال نبات اللبلاب الذي أستخدم كدواء مُسهل ، وأمكن حصر ما يقرب من ٤٥٠ نوع من النباتات المختلفة أستخدمت في الصناعات الدوائية في الدولة البيزنطية. انظر ،

Stannard, J., "Aspects of Byzantine Materia Medica", **DOP**, Vol. 38 (1984), p. 209; Scarborough, J., "Herbs of the Field and Herbs of the Garden in Byzantine Medicinal Pharmacy", in: A. Littlewood, & al. (eds.), Byzantine Garden Culture, **DOS**, Washington, D.C., 2002, p. 178.

(3) Pantokrator Typikon, ch. 49, pp. 760-761.

(4) Ibid., ch. 52, p. 764.

(5) Ibid., ch. 50, pp. 761-762.

(6) Maniatis, Personal Services Market, p. 27.

التنظيم المالي للمستشفيات

كانت الإدارة المالية للمستشفيات إما منفصلة [١] ، أو ملحقة بميرانية الدير ، ففي مستشفى بانتوكراتور كانت الإدارة المالية تقع في يد رئيس المخازن ، الذي كان مسئولاً عن توفير كل ما تحتاجه المستشفى من أدوات ومواد تخص المرضى والأطباء ومساعديهم ، فكان عليه أن يوفر الخبز والطعام الذي يُوزع يومياً على المرضى في المستشفى . كما كان عليه توفير زيت الزيتون لاستخدامه في أغراض الإنارة ، أو تحضير المراهم والدهانات ، بالإضافة إلى مصابيح الإنارة الموزعة على أقسام المستشفى ، وفي المراحيض ، وفي استراحة الأطباء . وكان على رئيس المخازن توفير المواد اللازمة لصناعة الأدوية مثل: العسل وماء الورد وعصير العنب وعصير الرمان والخل والسكر والدقيق ، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الحطب المُستخدم في صناعة الأدوية والعصائر وطبخ الطعام ، إلى جانب توفير المال اللازم في بداية فصل الربيع لشراء الإمدادات الطبية والأدوية والدهانات [٢] . وكان على مدير المستشفى أن يتلقى سنويًا من المشرف على مخازن الدير الزيت والخل المُستخدم في عمل الحقن الشرجية والدهانات ، إلى جانب حصوله على مبلغ من المال لشراء بعض المواد الأخرى المُستخدمة في صناعة الأدوية وبعض الأدوات الخاصة بعلاج المرضى[٣].

وأوقفت الأميرة ثيودورا باليولوجينا في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي على دير ليبس للنساء بالقسطنطينية عدة أوقاف للإنفاق على المُشفى التابع للدير ، وبلغت جملة هذه الأوقاف السنوية ٦٠٠ نوميزماتا nomismata (النوميزما = ٤,٥٥ جرام ذهب) ، تم توزيعها على دخل قريتين: ٢٩٢ نوميزماتا من قرية نيمفاي Nymphai على مقربة من القسطنطينية ، و٣٠٨ نوميزماتا من قرية سكوتينون Skoteinon بالقرب من حدود مقدونيا [٤] ، وتم توزيع هذه المبالغ على نفقات

---

(1) Kosmosoteira Typikon, ch. 70, p. 830.
(2) Pantokrator Typikon, ch. 49, pp. 760-761.
(3) Ibid., chs. 50, 52, pp. 761-762, 764.
(4) Lips Typikon, ch. 46, pp. 1279-1280.

مشفى الدير التي شملت: دقيق القمح ، والنبيذ ، والطعام ، وأخشاب التدفئة ، والزيت، والملح ، وزيت بذرة الكتان ، والشعير وعصيره[١].

أما بالنسبة للطعام المُقدم إلى المرضى ، فقد خصص دير بانتوكراتور مخبزًا خاصاً بالمستشفى ، ملحق به طاحونة لطحن الغلال [٢] ، وكان على رئيس الدير أن يوفر الطعام الصحي للمرضى [٣] ، الذي قُدم إليهم في أسرتهم [٤] ، ففي دير كوزموسوتيرا كان الطعام عبارة عن وجبتين يوميًا ، تحتوي الوجبة على رغيف من الخبز يزن حوالي ١٣٠ جرام ، بالإضافة إلى جرعة من النبيذ [٥] . وفي دير القديس ماماس ، ونظرًا لذهاب رهبانه إلى المستشفيات المجاورة للدير ، فقد أمد الدير مرضاه بالطعام اللازم حتى لا تتأثر صحتهم من قلة الطعام في بعض المستشفيات[٦]. أما في دير بانتوكراتور فإن الخمسين مريضًا والأطباء مع الممرضين والممرضات في الفترة المسائية تلقى كل منهم رغيفًا من الخبز يزن حوالي ٨٥ جرام ، بالإضافة إلى الخضروات وزيت الزيتون [٧] . وفيما يلي حصر لأجور الأطباء ومساعديهم والممرضين والوظائف الخدمية الأخرى كما ذكرتها تيبيكا بانتوكراتور[٨]:

=النوميزما كلمة تعني بصفة عامة العملة ، وقد أستخدمت كمقياس للعملة الذهبية التي تساوي ٢٤ قيراط، وهو ما يساوي الصوليدي اللاتيني ، ومنذ القرن ١١م أخذت مُسمى جديد وهو الهيبيربيرون Hyperpyron ، بمعنى النقي. انظر ،

Grierson, Ph., "Nomisma", **ODB**, Vol. 2, p. 1490.

(1) Lips Typikon, ch. 50, p. 1281.

(2) Pantokrator Typikon, ch. 45, p. 760.

(3) Evergetis Typikon, ch. 27, p. 491; Kellibara II Typikon, ch. 5, p. 1509; Bebaia Elpis Typikon, ch. 90, p. 1549.

(4) Areia: Memorandum and Typikon of Leo, Bishop of Nauplia, for the Monastery of the Mother of God in Areia, trans. A. M. Talbot, **BMFD**, Vol. 3, No. 31, ch. [T.3], p. 965.

(5) Kosmosoteira Typikon, ch. 70, p. 830.

(6) Mamas Typikon, ch. 34, p. 1017; Heliou Bomon Typikon, ch. 33, p. 1074.

(7) Pantokrator Typikon, ch. 45, pp. 759-760.

(8) Ibid., ch. 52, pp. 762-764.

عدد	النـــــوع	الأجر النقدي لكل شخص	المخصص السنـــوى					المخصص الشهري لكل فـــرد	المجموع الشهـــري	مجموع ما يتقاضاه الفرد سنويا
			المجموع	الأجـــر العيني						
				القمح للفرد	المجموع السنوي	الشعير للفرد	النبيذ للفرد			
٢	بريميكيريوس	٨ نوميزماتا	١٦ نوميزماتا	٤٥ مُديوس	٩٠ مُديوس	–	–	–	–	١١,٧٥ نوميزماتا
٢	بروتومينيتيس	٨ "	١٦ "	٣٨ "	٧٤ "	–	–	٤٨/١ نوميزما	٠,٠٤ نوميزما	١١,٤١ "
٢	رؤساء الجراحة	٨ "	١٦ "	٣٨ "	٧٤ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٢٠ "	١٢,٣٦ "
٤	جَرّاح	٦,٨٣ "	٢٧,٣٢ "	٣٦ "	١٤٤ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٤٠ "	١١,٠٣ "
٢	أطباء	٤,٢٥ "	٨,٥٠ "	٣٠ "	٦٠ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٢٠ "	٧,٩٥ "
٢	أطباء ممارسين	٤,٢٥ "	١٧ "	٣٠ "	١٢٠ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٤٠ "	٧,٩٥ "
٢	جرّاح الطواريء									
١	طبيبة نساء	٣ "	٣ "	٢٦ "	٢٦ "	–	–	٠,١٠ "	٠,١٠ "	٧,٢٠ "
١	جَـرّاح للفتـوق الأربية	٣,٦٦ "	٣,٦٦ "	٣٠ "	٣٠ "	–	–	–	–	٦,١٦ "
٢	طبيب مساعد	٣,١٦ "	٦,٣٢ "	٢٨ "	٥٦ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٢٠ "	٦,٦٩ "
١٦	طبيب معتمد	٢,٦٦ "	٥٣,٢٠ "	٢٤ "	٤٨٠ "	–	–	٠,١٠ "	٢ "	٥,٨٦ "
٤	طبيبات									
٨	طلاب (طالبات) تحت التدريب	٢,٠٨ "	١٦,٦٤ "	٢٠ "	١٦٠ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٨٠ "	٤,٩٤ "

٨	ممرضون	٤,٢٥ "	٤٦,٧٥ "	٣٠ "	٣٣٠ "	–	–	٠,٠٨ "	٠,٨٨ "	٧,٧١ "
٣	ممرضات									
١	مدير المخازن	٨,٦٦ "	٨,٦٦ "	٥٠ "	٥٠ "	٦٠ مُديوس	–	٠,١٠ "	٠,١٠ "	١٩,٠٢ "
١	المراقب (المشرف على قبو التبيذ)	٤,٣٣ "	٤,٣٣ "	٣٦ "	٣٦ "	–	–	–	–	٧,٣٣ "
١	رئيس الصيادلة	٣,٤٩ "	٣,٤٩ "	–	–	–	–	٠,١٠ "	٠,١٠ "	٤,٦٩ "
٣	صيادلة معتمدون	٣,٤٩ "	١٠,٤٧ "	٢٤ "	٧٢ "	–	–	–	–	٥,٤٩ "
٢	صيادلة مساعدون	٢,٥٨ "	٥,١٦ "	٢٠ "	٤٠ "	–	–	–	–	٤,٢٤ "
٤	طلاب صيادلة تحت التدريب	٢,٥٨ "	١٠,٣٢ "	٢٠ "	٨٠ "	–	–	٠,١٠ "	٠,٤٠ "	٥,٤٤ "
٢	قارىء	٣ "	٦ "	١٢ "	٢٤ "	–	٩ جرات	٤ "	٨ "	٥٤,٢٥ " ؟
١	بواب	٣ "	٣ "	٢٤ "	٢٤ "	–	–	٠,٠٨ "	٠,٠٨ "	٥,٩٦ "
١	عامل تسخين الماء	٣,٢٥ "	٣,٢٥ "	٣٠ "	٣٠ "	–	–	٠,٠٨ "	٠,٠٨ "	٦,٧١ "
٢	طباخ	٣ "	٩ "	٣٠ "	٩٠ "	–	–	٠,٠٨ "	٠,٢٤ "	٦,٤٦ "
١	متعهد توريد الطعام									

٥	نساء لغسل الملابس	١,٥ "	٧,٥٠ "	١٢ "	٦٠ "	–	–	٤ "	٢٠ "	٥٠,٥٠ "
١	فس الجنائز	٣ "	٣ "	٢٠ "	٢٠ "	–	–	٠,٠٨ "	٠,٠٨ "	٥,٦٢ "
٤	حلوتي	٢ "	٨ "	١٢ "	٤٨ "	–	–	–	–	٣ "
١	حارس البوابة	٢,٤٩ "	٢,٤٩ "	١٥ "	١٥ "	–	–	–	–	٣,٧٤ "
٢	خباز	٥ "	١٠ "	٣٠ "	٦٠ "	–	–	–	–	٧,٥٠ "
١	سانس خيول	٤ "	٤ "	٢٤ "	٢٤ "	–	–	–	–	٦ "
١	طحان	٢ "	٢ "	١٦ "	١٦ "	–	–	–	–	٣,٣٣ "
١	منظف البالوعات	٢,١٦ "	٢,١٦ "	١٥ "	١٥ "	–	–	–	–	٣,٤١ "
١	شاحذ المُوسَى	١,٥ "	١,٥ "	١٢ "	١٢ "	–	–	–	–	٢,٥ "
١	صفار النحاس	٢ "	٢ "	٢٠ "	٢٠ "	–	–	–	–	٣,٦٦ "
المجموع ٩٦ موظف		٣٣٦,٧٦ نوميزماتا		٢٣٨٠ مُديوس (١٢ مُديوس = نوميزما) ١٩٨,٣٣ نوميزماتا		٦٠ مُديوس = ٥ نوميزماتا	١٨ جرة = ٤,٥ نوميزماتا	٣٤,٢٨ × ١٢ = ٤١١,٣٦ نوميزماتا		
المجموع الكلي		٣٣٦,٧٦ + ١٩٨,٣٣ + ٥ + ٤,٥٠ + ٤١١,٣٦ = ٩٥٥,٩٥ نوميزماتا = ١٣,٢٧ رطل ذهب								

جدول (٢): أجور العاملين في مستشفى دير باتوكراتور بالقسطنطينية ، القرن ١٢م.

أما أجور الأطباء والصيادلة في دير ليبس بالعاصمة القسطنطينية في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي فقد كان كالتالي [1] :

العدد	الفئة	أجر الفرد	المجموع
٣	رؤساء الأطباء	١٦ نوميزماتا	٤٨ نوميزماتا
١	طبيب	" ١٢	" ١٢
١	ممرضة	" ١٤	" ١٤
١	رئيس الصيادلة	" ١٢	" ١٢
٦	صيدلي	" ١٠	" ٦٠
٢	صيدلي تحت التدريب	" ٦	" ١٢
١	فاصد الدماء	" ٤	" ٤
٣	خادم	" ١٠	" ٣٠
١	طباخ	" ١٠	" ١٠
١	غسالة	" ٥	" ٥
المجموع			نوميزماتا

جدول (٣) أجور العاملين في مستشفى دير ليبس بالقسطنطينية ، القرن ١٤م.

ومن الملاحظ أن هناك اختلاف بين الجدولين السابقين: فإذا كان مدير المخازن هو مَنْ يحصل على أعلى الأجور من بين موظفي مستشفى بانتوكراتور ، حيث تقاضى حوالي ١٩,٠٢ نوميزماتا سنويًا ، يليه رؤساء الجراحة ١٢,٣٦ نوميزماتا ، ثم البريميكيريوس ١١,٧٥ نوميزماتا ، ثم البروتومينيتيس ١١,٤١ نوميزماتا ، فإن أعلى الأجور في مستشفى ليبس كان من نصيب رؤساء الأطباء ١٦ نوميزماتا ، ثم الممرضين ١٤ نوميزماتا ، ثم الأطباء ورئيس الصيادلة ، وتقاضى كل منهم ١٢ نوميزماتا. ولكن هناك أمرين مهمين في جدول (٢):

(1) Lips Typikon, ch. 51, p. 1281.

- أولهما أن القارىء تقاضي حوالي ٥٤,٢٥ نوميزماتا ، وكل واحدة من النسوة اللائي عملن في غسل ملابس المرضى تلقت ٥٠,٥ نوميزماتا سنوياً ، وهو أمر محير للغاية وغير منطقي ، فهل يُعقل أن يتلقى هاتان الفئتان هذا المبلغ من المال ، في حين كان المشرف على المستشفى لا يتعدى أجره السنوي ١١,٧٥ نوميزماتا.
- الأمر الثاني هو أن هناك فئة من العمال مثل: الخباز والسائس والطباخ والمسئول عن تسخين المياه والبواب قد تلقوا أجرًا أعلى من الصيادلة ورئيسهم ، فبينما تراوح متوسط أجر العامل ما بين ٦- ٧,٥ نوميزماتا ، لم يتعدى أجر الصيادلة ورئيسهم ما بين ٤,٦٩- ٥,٤٩ نوميزماتا سنوياً.

فبالنسبة إلى الأمر الأول: فإن المبلغ الكبير الذي خُصص للقاريء ربما يدخل ضمنه الأكفان وكل النفقات الخاصة بالموتى ، أما المبلغ الخاص بالنسوة اللائي عملن في غسل ملابس المرضى ربما يدخل ضمنه نفقات شراء الصابون المُستخدم في الغسيل . أما الأمر الثاني والخاص بزيادة أجر العمال عن فئة الصيادلة ، فربما لأن الصيادلة كانوا يعملون في الدير لمدة ستة أشهر بالتناوب ، أما بقية الأشهر الأخرى فكانوا يعملون لمصالحهم الشخصية ، وهو عكس البواب والخباز والسائس وعامل تسخين المياه الذين عملوا طوال العام بلا توقف ، مما يعني أن أجرهم الحقيقي هو نصف المبلغ الذي تقاضوه مقارنة بالصيادلة ، والذي لا يزيد عن ٣- ٤ نوميزماتا سنوياً.

شكل بياني مقارنة بين أجور العاملين بالمستشفيات خلال القرنين 12 ، 14 م

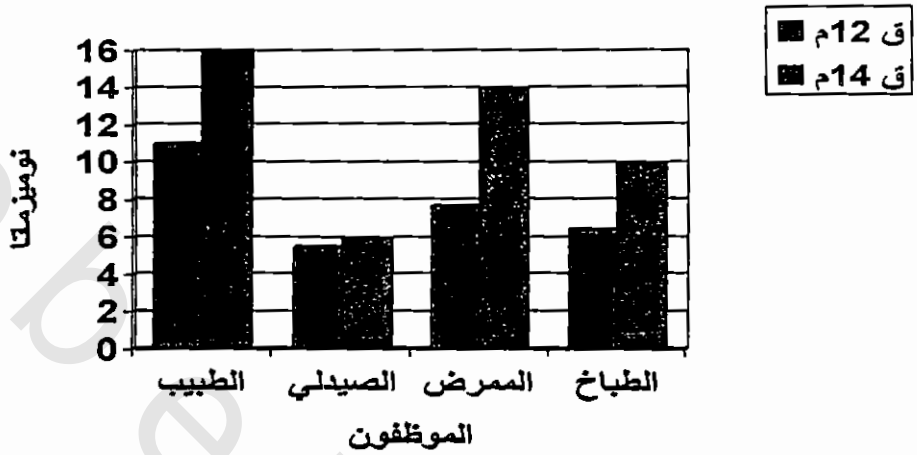

وبالمقارنة بين الجدولين (٢) و(٣) ، وبالنظر إلى الشكل البياني السابق فإننا نجد أن الترتيب الهراركي للعاملين بالمستشفيات مازال كما هو ، ولكن ثمة زيادة في أجر الفئات المختلفة خلال القرن الرابع عشر الميلادي عنه خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، فمثلاً كان الطبيب يتقاضى في القرن الثاني عشر الميلادي حوالي ١١,٧٥ نوميزماتا ، أصبح خلال القرن الرابع عشر الميلادي يتقاضى ١٦ نوميزماتا ، ويفسر تيموثي ميلر ذلك بأن ١٦ نوميزماتا خلال القرن الرابع عشر الميلادي تساوي ما قيمته ١٠,٦ نوميزماتا خلال القرن الثاني عشر الميلادي ؛ لقوة العملة خلال القرون الباكرة ، كما أن الطبيب في القرن الثاني عشر الميلادي كان يعمل لمدة ستة أشهر بالتناوب ، مما يعني أن الأجر الذي يتقاضاه كان عن ستة أشهر ، وليس عن عام كامل ؛ مما يعطيه الفرصة للحصول على أجر إضافي خلال فترة الراحة ، والذي تمثل في الحصول على الخضر والفاكهة من المرضى[1].

(1) Miller, The Birth of the Hospital, p. 161.

الرعاية الصحية لكبار السن

لم يقف الأمر عند حد إنشاء المستشفيات العامة ، بل تعداه إلى اهتمام البيزنطيين بنوع آخر من المستشفيات المتخصصة مثل دُور رعاية كبار السن والعجزة والمُقعدين ، والتي أسسها في العادة أحد الأباطرة أو أحد الأشراف ، ومنها ما كان مُلحقاً بأحد الأديرة الذكورية أو النسائية [1] ، وكان الإمبراطور باسيل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) قد أسس عددًا من بيوت رعاية كبار السن في القسطنطينية [2] ، كذلك شيد الإمبراطور رومانوس الأول (٩١٩-٩٤٥م) داراً للمسنين [3] ، كما أمر بأن يُبنى من ماله الخاص بعد موته ملاجيء لكبار السن صدقةً على روحه [4] ، وكان الإمبراطور قسطنطين السابع (٩٤٥-٩٥٩م) قد أبدى اهتمامه الخاص بكبار السن حينما حول الإسطبلات التابعة لكنيسة الحكمة المقدسة لتكون دارًا لرعاية كبار السن، وأمر بتوفير الخبز والكساء سنويًا لنزلاء تلك الدار [5] . وفي الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي أنشأ نقفور إروتيقوس دارًا لرعاية كبار السن ، اشتملت على اثنا عشر نزيلاً ، يخدمهم أربعة من الخدم [6] ، وقام الإمبراطور ألكسيوس الأول

---

(1) Lascaratos, J. & al., "Nursing Homes for the Old ('Gerocomeia') in Byzantium (324–1453 A.D.)", JGero, Vol. 50 (2004), p. 114.

ويذكر ابن بطوطة قائلاً: "وفيها (القسطنطينية) مانستاران (ديران) عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى (الحكمة المقدسة) ... أحدهما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممَنْ بلغ الستين أو نحوها ، ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك". انظر ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩١.

(2) Constantine Porphyrogenitus, Vita Basilii, in: Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, 5. ch. 93, p. 339.

(3) Pantokrator Typikon, ch. 63, p. 767.

(4) Theophanes Continuatus, Chronographia, 9, ch. 44, p. 430.

(5) Ibid., 10, ch. 19, p. 449.

(6) Mount Tmolos: Typikon of Nikephoros Erotikos for the Monastery of the Mother of God and the Old Age Home called Ta Derma on Mount Tmolos, trans. J. Thomas, BMFD, Vol. 1, No. 16, ch. 2, p. 311.

كومنين (١٠٨١-١١١٨م) بإنشاء دُور لرعاية كبار السن والعجزة والمقعدين في مدينة داماليس على الساحل الآسيوي لبحر مرمرة ، وقد تألفت كل دار من طابقين ، يقيم في الطابق العلوي الضعاف من الرجال والنساء ، أما غيرهم ممَنْ لا يستطيعون الحركة فيقيمون في الطابق السفلي ، وأوقف الإمبراطور على تلك الدُور أوقافًا كثيرة [١] . وقد أنشأ يوحنا الثاني كومنين (١١١٨-١١٤٣م) دارًا لرعاية كبار السن مُلحقة بدير بانتوكراتور بالقسطنطينية ، أقام فيها أربعة وعشرون من كبار السن ، وكلهم من المقعدين أو العرجان أو العجزة ، أو مَنْ يعانون من أمراض شتي، ولم يُسمح لرئيس الدير أو أي شخص آخر سوى القائمين على خدمتهم – وهم ستة ممرضين – بالدخول عليهم ، ومَنْ حاول اختراق هذا السياج مهما كان شأنه وُقِّعَت عليه عقوبة كبيرة [٢] ، وفي عام ١١٥٢م أنشأ إسحاق كومنين الابن السادس للإمبراطور ألكسيوس كومنين داراً لرعاية كبار السن والمقعدين مُلحقة بدير كوزموسوتيرا[٣].

وبالنسبة للطعام المُقدم إلى المرضى من كبار السن ، فقد خصص دير بانتوكراتور مخبزاً خاصاً لدار رعاية كبار السن ، ملحق به طاحونة لطحن القمح والشعير [٤] ، وكان كل نزيل في تلك الدار يتلقى الخبز والنبيذ والبازلاء والجبن وزيت الزيتون ، بالإضافة إلى هيبربيرتين (هيبربيرا = ٣,٨ جرام ذهب) لشراء الملابس. أما في الأعياد والاحتفالات فيتلقون الصدقات من الرهبان عند باب الدير ، كما وزع الإمبراطور يوحنا الثاني عليهم الأعطيات أثناء احتفالاته الإمبراطورية [٥]

---

(١) آنّا كومنينا ، الألكسياد ، ك ١٥ ، ف ٧ ، ص ٦١٧.

(2) Pantokrator Typikon, ch. 58, p. 766.

(3) Kosmosoteira Typikon, ch. 96, p. 840.

(4) Pantokrator Typikon, ch. 45, p. 760.

(5) Ibid., ch. 59, p. 766.

الهيبيربيرا كلمة تعني النقية جدا ، وقد أُستخدمت كمقياس للعملة الذهبية التي تحتوي على ٢٠,٥ قيراط من الذهب في عهد الإمبراطور ألكسيوس الأول عام ١٠٩٢م ، ثم عاد وزنها مرة أخرى ٢٤ قيراط في القرن الرابع عشر الميلادي. انظر ،

Grierson, Ph., "Hyperpyron", **ODB**, Vol. 2, pp. 964-965.

أما الممرضين فكانوا يتلقون سنوياً هبيربيرتين ، وعشرين مُديوس من القمح (٢٥٦كجم) ، و١٦ جرة من النبيذ ، ولطعامهم ٢ مُديوس من البازلاء (٢٥,٤ كجم) ، وخمسين رطلاً من الجبن (١٦,٣٨٠ كجم)[١].

وقد اهتم الأطباء البيزنطيون بمعالجة الأمراض والمشكلات الطبية التي واجهت المسنين والناتجة عن التقدم في العمر [٢] ، فإذا ما شعر أحد كبار السن بالإعياء فإن القس المشرف على الدار يقوم بإبلاغ مدير المستشفى ، فتزوده المستشفى بفريق طبي ، ويوكل إلى أحد الأطباء أو المساعدين له بالاهتمام بالمريض حتى يُشفى من مرضه ، ولكن يُحتجز المريض في المستشفى لتلقي العلاج الضروري إذا ما كان المرض خطيراً ، ثم يعود إلى دار المسنين بعد أن يستعيد عافيته[٣].

الخاتمة

مما سبق تبين لنا أن وثائق الأديرة البيزنطية احتوت على الكثير من المعلومات القيمة عن الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية ، مثل: أنواع المستشفيات وأقسامها ، والأطباء والمساعدون والممرضون والوظائف الخدمية الأخرى ، والأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج ، وأدوات الجراحة والأدوية والصيدلة ، والتنظيمات المالية للمستشفيات ، والرعاية الصحية لكبار السن ، كما أشارت إلى بعض الوسائل الوقائية للحد من انتشار الأمراض بين المرضى والأطباء على السواء،

---

(1) Pantokrator Typikon, ch. 62, p. 767.

(2) Lascaratos, J. & Poulacou-Rebelacoub, E., "The roots of geriatric medicine: care of the Aged in Byzantine times (324–1453 A.D.)", **JGero**, Vol. 46 (2000), p. 2.

(3) Pantokrator Typikon, ch. 60, p. 767.

نظرًا لأن كبار السن كانوا يحتاجون إلى كتابة وصاياهم قبل موتهم ، فقد خصص والي المدينة مُوَثِّقًا في كل ملجأ من ملاجيء كبار السن للقيام بهذا العمل. انظر ، كتاب والي المدينة ، ترجمة/ د. السيد الباز العرينى ، **حولية كلية آداب القاهرة** ، مج ١٩ ، ج ١ ، ١٩٥٧م ؛ وأيضا منشور ضمن كتاب: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ك ١ ، ف ٢٠ ، ص ١٤٨.

من خلال النظافة ، وتخصيص بعض الأدوات الخاصة بكل فئة ، إلا أن القارىء لتلك الوثائق يجد أن هناك نقصًا في بعض المعلومات الخاصة بالطب والصحة العامة ، وربما مرجع ذلك إلى أن وثائق التيبيكا هي وثائق إدارية تنظيمية تُعبر عن القواعد واللوائح المنظمة للأديرة البيزنطية ، وعلى ذلك فهي ليست مصدرًا طبيًا أساسيًا ، ولكن لا يعني هذا غض الطرف عما بها من معلومات قيمة ، قد لا نجدها في المصادر الأخرى ، وعلى ذلك فعلى الباحثين في التاريخ البيزنطي بصفة عامة ، وتاريخ الطب بصفة خاصة أن يملأوا تلك الفراغات من المصادر الأخرى ، ومن تلك الفجوات:

- أن المعلومات الواردة بوثائق التيبيكا والمتعلقة بالطب قبل القرن العاشر الميلادي كانت ضئيلة للغاية.
- نقلت الكثير من وثائق التيبيكا عن مثيلتها ، خاصة وثائق أديرة إيفيرجيتيس وكيشاريتوميني وماماس ، مما جعل المعلومات الواردة في كثير من الوثائق مكررة إلي حد التطابق.
- عدم الاستفاضة في الحديث عن مرضى الجُذام من حيث حجم المستشفيات الخاصة بهم ، ونوعية الرعاية المُقدَّمة لهم ، ووجهة نظر المجتمع تجاههم ، والإجراءات الوقائية للحد من هذا المرض.
- قلة المعلومات عن الأمراض المنتشرة آنذاك وكيفية علاجها ، على الرغم من توفر بعض المعلومات الخاصة بالأدوات الجراحية.
- عدم التطرق بالحديث عن الأمراض النفسية والعقلية ، وبالتالي المستشفيات الخاصة بها ، أو الأطباء المعالجين لمثل تلك الأمراض.

- أهملت التيبيكا الحديث عن دور ومكانة الأطباء المساعدين وطلاب الطب تحت التدريب في قسم الطوارىء ، والذي ربما يكون دَوْرهم مشابهًا لدور إخوانهم في الأقسام الأخرى.
- أشارت التيبيكا إلى بعض المواد الأولية التي أُستخدمت في صناعة الدواء ، ولكنها لم تُشِر إلى أنواع الأدوية ، وأنواع الأمراض التي أُستخدمت تلك الأدوية في علاجها ، باستثناء المُسهلات والكمادات والدهانات.

* * *

Opeikan.com